٢

معاملة الفاتحين المسلمين لأقباط مصر

د. راوية عبد الحميد حسانين شافع
مدرس التاريخ الإسلامي ، والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة حلوان

المقدمة:-

أربعة عشر قرنا مضت على دخول الإسلام إلى مصر، مما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن مصر بتراثها الفريد قادرة على احتضان المسيحية والإسلام جنبا إلى جنب إلى أن يشاء الله.

ولقد كان للأقباط منذ اللحظة الأولى لدخول الإسلام إلى مصر مواقف تحسب لهم فى مساندة الفاتحين الجدد، كما كان الفاتحون الجدد كعادتهم فى كل فتوحاتهم الإسلامية شرقا وغربا مواقف مساندة للمغلوبين من أهل البلاد الوافدين عليهم.حيث كان المسلمون الأوائل دعاة بناء لا هدم، دعاة عيش لا عبودية، وكان طبيعيا أن يتأثروا ويؤثروا فى الشعوب التى يمتزجون بها دون إذلال. فلم يؤثر عن المسلمين الأوائل فى أثناء فتوحاتهم أن تعرضوا لشيخ مسن أو امرأة أو طفل، كما نقرأ أو نسمع على مدار التاريخ الإنسانى كله.

ومن هذا المنطلق أردت أن أوضح وأبرز الدور التاريخى للفاتحين المسلمين تجاه أقباط مصر إبان عملية الفتح الإسلامى، وأردت أن أوضح سياسة التسامح الذى حظى به أقباط مصر على كافة الأصعدة، سواء الصعيد الدينى أو الاجتماعى أو السياسى.

وللحقيقة التاريخية أوضحت أيضا المغالاة التى حدثت من بعض الولاة فى أعقاب الفتح الإسلامى وموقف نصارى مصر من تلك الأشياء التى اعتبرها استثناء وليس قاعدة، حيث أن القاعدة كانت دائما لدى الفاتحين المسلمين هى حُسن معاملة المغلوبين من أهل البلاد المفتوحة وليس فى فتح مصر فقط.

والحقيقة أيضاً لا أدعى السبق فى الكتابة فى مثل هذا الموضوع فقد تناوله كثيرون ممن أرخوا لتلك الحقبة التاريخية للفتح الإسلامى لمصر.

بيد أن الجديد هنا هو التركيز على معاملة الفاتحين المسلمين لأقباط مصر، فى أعقاب الفتح مباشرة وكيف تلقى المصريون الأقباط الفاتحون المسلمون، وكيف كانت طبيعة العلاقات بين العنصرين، وذلك فى ضوء ما

لمدتنا به المراجع والمصادر الموثوق فيها وبخاصة المصادر القريبة إلى حد ما من تلك الأحداث التاريخية.

فالنصوص التاريخية تركز على عملية الاختلاط والامتزاج التى حدثت بين العنصرين مما أحدث معه تغيراً كبيراً فى طبيعة العلاقات بين عنصرى الأمة فى مصر. وقبل أن نستطرد فى شرح طبيعة تلك العلاقات ونبرز كيف حدث هذا التغيير وبخاصة فى حياة أقباط مصر كان لابد من إبراز حالة أقباط مصر قبل الفتح الإسلامى أى أحوالهم تحت حكم الرومان.

أحوال أقباط مصر[١] قبل الفتح الإسلامى:

كانت العقلية المصرية بطبيعتها مهيأة لتقبل الدين المسيحى الذى بدأ ينتشر فى مصر بسرعة شديدة بالقياس بالأقطار الأخرى، وازداد هذا الانتشار بصورة كبيرة فى مدينة الإسكندرية التى أصبح لها كنيسة خاصة بها، ويعزو الأستاذ الدكتور/ عزيز سوريال عطية هذا الانتشار السريع للدين المسيحى بمصر باستعداد العقلية المصرية لتقبله منذ أن أعلن إخناتون التوحيد، وكانت أول دعوة توحيد فى التاريخ الإنسانى[٢] وقد أثار انتشار المسيحية مخاوف الرومان واعتبرت السلطات الرومانية المسيحيين عنصراً خطيراً فى المجتمع، فعمدوا إلى اضطهاد دعاة المسيحية ومعتنقيها منذ النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى وعلى الأخص فى عهد سبتيموس سفيروس، وبلغ هذا الاضطهاد ذروته فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م) Diccletianuse الذى اصطدمت رغبته فى توحيد النظام الإدارى فى الإمبراطورية الرومانية عن طريق العقائد الوثنية التى رفض المسيحيون المشاركة فيها[٣].

وفي عهد دقلديانوس اشتعلت نيران الفتنة في الإسكندرية ضده ، فأضطر إلى القدوم إليها ، وحاصرها مدة ثمانية أشهر حتى سقطت فتخرب كثير من أبنيتها ، وأتت بعد ذلك فترة ازداد فيها اضطهاد الأباطرة لكنيسة الإسكندرية، إلا أن هذا الاضطهاد لم يثن المصريين عن اعتناق الدين المسيحى،

فانتشر انتشاراً تجاوز كل تقدير في الحسبان[٤] ونتيجة لما لاقاه المسيحيون من اضطهاد في عصر دقلديانوس، اتخذت الكنيسة القبطية بمصر تقويماً جديداً عُرف بتقويم الشهداء وذلك في سنة ٢٨٤م، وهي السنة التي اعتلى فيها دقلديانوس عرش الإمبراطورية الرومانية[٥]. ثم كان اعتراف الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٢٣-٣٣٧م) بهذا الدين رسمياً في سنة ٣١٣م، وما لبث الإمبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩-٣٩٥م)أن اعتنق المسيحية وفرضها قصراً على رعايا الإمبراطورية.وفي عهده قام البطريرك ثيوفيلوس بهدم المعابد الوثنية في الإسكندرية وتدميرها في سنة ٣٨٩م، فهدم معبد سيرابيس بالقرب من كانوب شرقي الإسكندرية[٦] وقد كان لانتصار المسيحية الأرثوذكسية السكندرية على الوثنية أثر كبير في ارتفاع مكانة هذه المدينة من الوجهة الروحية، ولم تقبل بيزنطة هذا الوضع، وهنا نشأ نزاع مذهبي كبير بين بيزنطة والإسكندرية من أجل الزعامة الدينية[٧] على أن المسيحيين ما كانوا يتخلصون من الاختلافات الدينية حتى وقعوا في الاختلافات المذهبية، ونشأ عن ذلك ما يعرف بالمذهب الأرثوذكسي والمذهب الكاثوليكي وغيرهما من المذاهب، وقد كان هذا الاختلاف سبباً في انتشار البؤس والشقاء بين المصريين الأقباط[٨] .

وهنا أعلن المصريون الانشقاق والعصيان وتحول النزاع بينهم وبين البيزنطيين إلى تحد مجيد من جانب المصريين وسموا بالأرثوذكسيين – ومعناها أصحاب الدين الصحيح- وهنا أعلن الأباطرة عن سياستهم التعسفية، ضد المصريين، الذين قاموا بدورهم بنقل الحركة إلى خارج مدينة الإسكندرية، وكان من أكبر زعماء تلك الحركة المعارضة الأنبا شنودة والبطريرك بنيامين، ولقد كان لإسراف البيزنطيين في اضطهاد المصريين أثر كبير في معاداة المصريين لهم وفي تمهيد السبيل لفتح مصر[٩] وهنا قام الإمبراطور هرقل ٦١٠م بإرسال حاكما على مصر وهو قورس[١٠] في سنة ٦٣٤م – ١٢هـ كي يعمل على استمالة المصريين إلى مذهب المونوثيلية – وهو مذهب جديد يحاول التوفيق بين

كنيستى القسطنطينية والإسكندرية وتفسيره أن للمسيح طبيعتين، ولكن له إرادة واحدة[١١].

بيد أن المصريين تمسكوا بمذهبهم الذى ينادى بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح عليه السلام، فلجأ قيرس معهم إلى سياسة الشدة والتعسف وأخذ يضطهد الأقباط اضطهادا لم يشهد له المصريون نظيرا من قبل، وأمام هذا الاضطهاد الرهيب اضطر البطريرك القبطى بنيامين إلى الفرار من الإسكندرية من بابها الغربى إلى الصحراء ولاذ فى نهاية الأمر بدير صغير لا يبعد كثيرا عن مدينة لوص[١٢]. وحذا حذو بنيامين عدد كبير من المصريين، فروا إلى أديرة وادى النطرون مثل دير البراموس، ودير أنبا بشواى، ودير أبى مقار، وهجر كثير من الفلاحين مزارعهم وقراهم، مما أدى إلى انتشار الفوضى فى البلاد واضطراب جميع مرافقها، وتعرض من بقى من الأقباط فى ديارهم لصنوف العذاب والتنكيل وعلى مثل هذه الحالة السيئة من الفوضى والاضطهاد لقى العرب أهل هذه البلاد عند افتتاحهم لها[١٣]. ٦

هذا علاوة على أن القلاقل والنزاعات والصراع بين الحكام البيزنطيين أنفسهم فى عاصمتهم القسطنطينية حول ولاية العرش مهدت الطريق أمام العرب لسهولة فتح مصر. ففى سنة ٦٠٢م – سقط الإمبراطور "موريس" صريعا إثر ثورة قام بها الجيش ضده بزعامة "فوكاس" الذى اعتلى العرش، بيد أنه كان مولعا بسفك الدماء، فسخط عليه أقرب الأقربين له، وأعلن هرقل بطريق قرطاجنة وحاكم أفريقية الثورة عليه، وأعد لهذه المهمة جيش بقيادة ابنه الشاب هرقل للاستيلاء على العاصمة القسطنطينية، وتمكن هرقل الشاب من قتل فوكاس فى ٥ أكتوبر سنة ٦١٠م وانتهى الأمر باعتلائه عرش الدولة البيزنطية فى نفس العام[١٤]. والذى أرسل قيرس حاكما على مصر وفى عهده تم اضطهاد أقباط مصر كما سبق وأسلفنا.

والحقيقة من خلال ما ذكرناه نرى أن أقباط مصر قد رزحوا طويلا تحت حكم الرومان، ويذكر الأستاذ ملن Milne: "أن مصر أصبحت مخزنا يمد روما بالغلال، ونتج عن ذلك انحطاط مستوى العلوم والمعرفة، وأصبح المصريون لا يتولون المناصب العالية، علاوة على زيادة الضرائب زيادة كبيرة، حتى أصبحت تجبى الضرائب عن الأشخاص والأشياء فاشتملت الضرائب على ضرائب الرؤوس والصناعات، والماشية، والأراضى، والجدير بالذكر هنا جباية الضرائب على الرجال والنساء على حد سواء – عكس الجزية فى العهد الإسلامى التى كانت تجبى على الرجال القادرين منهم فقط ويعفى منها النساء والشيوخ والأطفال – وكانت الضرائب تجبى أيضا من التجار، والصناع وزوجات الجنود وحتى أثاث المنازل، بل كانت تجبى ضرائب على الموتى، حيث كان لا يسمح بدفن الميت إلا بعد تحصيل الضريبة"[١٥]. ومن هنا أصبح أقباط مصر يتطلعون إلى من يخلصهم من الحكم الرومانى، ويرفع عنهم المظالم التى وقعت عليهم، ومن هنا كان ترحابهم بالعرب لما سمعوه من نصارى الشام تحت الحكم العربى الإسلامى من حسن سيرتهم ومعاملتهم الحسنة لأهل البلاد التى فتحوها. ولذا نرى أن الطريق كان ممهداً والأحوال الداخلية فى مصر مهيأة لاستقبال العرب بل ومساندتهم، فقد كان لإسراف البيزنطيين فى اضطهاد المصريين أعظم الأثر فى معاداة المصريين لهم مما مهد السبيل للفتح العربى لمصر[١٦].

والجدير بالذكر هنا قبل أن نختم هذه النقطة أن المسيحية منذ دخولها مصر وانتشارها اتخذت شخصية وطابع خاص اختلف عن المسيحية الغربية، إذ أن التعذيب والاضطهاد الذي تعرض له المصريون المسيحيون، كان سببا في إيجاد نظام جديد مصري خالص عرف بنظام الرهبنة الفردى أو الديري، وهو نظام ظهر في مصر قبل أي مكان آخر، حيث كان المصريون يهربون بعقيدتهم المسيحية إلي الصحاري، هربا من الاضطهاد، ثم أصبحت الرهبنة المثل الأعلى

للمسيحية المصرية، وينسب المؤرخون إلى الأنبا أنطون (أنطونيوس الكبير) المصرى، أنه أول من بنى الديارات وجمع الرهبان بمصر[١٧].

علاقة العرب بالمصريين قبل الفتح الإسلامى :

لا شك أن العرب كانوا يستشعرون صلة الرحم التى تربطهم بأهل مصر وتتمثل فى أمومة هاجر المصرية أم سيدنا إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام[١٨]، كما كانوا يستشعرون خئولة المصريين لإبراهيم ابن النبى ﷺ من السيدة مارية القبطية[١٩] ولعل ذلك كان السبب الذى حمل رسول الله ﷺ على أن يوصى بقبط مصر خيراً، ويأتى المؤرخ ابن عبد الحكم بأحاديث متعددة استوصى فيها رسول الله ﷺ قومه خيرا بقبط مصر وأنه قال:"استوصوا بالأدم الجعد" فسأله القوم: عن الأدم الجعد، فقال: قبط مصر فإنهم أخوال وأصهار، وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم" وذكر أيضا نقلاً عن أبى لهيعة عن عمر مولى غفرة أن رسول الله ﷺ قال:"الله ...الله فى أهل الذمة، أهل المدرة السوداء"[٢٠]ويذكر الطبرى حول القرابة التى كانت تربط بين المصريين والفاتحين المسلمين ويقول إن عمرا طلب من القبط أن يساعدوا المسلمين، لما كان بينهم وبين العرب من قرابة فى النسب إذ تجمعهم (هاجر) أم إسماعيل عليه السلام، ولكن القبط قالوا إن هذه القرابة ما أبعدها، فأمهلهم عمرو اربعة أيام ليأتوا إليه بما استقروا عليه، ولكن ما كان قائد الروم ليظر فى مثل هذا الأمر[٢١]. وعن عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول "إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض" فقال أبو بكر:"ولم يا رسول الله؟" قال "لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة"[٢٢].

وقد قام النبى ﷺ فى السنة السادسة للهجرة بإرسال مجموعة من الرسائل إلى ملوك وأمراء العالم على عصره منها رسالة إلى المقوقس حاكم مصر من قبل هرقل إمبراطور الروم مع رسولا من قبله وهو حاطب بن أبى بلتعة اللخمى جاء فيها دعوته إلى الإسلام وأن محمدا عبد الله ورسوله، وقد

٨

احتفى حاكم مصر بمبعوث النبى ﷺ وأكرم وفادته ويكاد يجمع مؤرخوا العرب على انه أحسن استقباله وأجابه بقوله "قد كنت أعلم أن نبيا قد بقى، وكنت أظن أن مخرجه الشام – وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله – فأراه قد خرج فى العرب فى أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعنى فى اتباعه، ولا أحب أن يعلم بمحاورتى إياك"[٢٣] ورده بهدية إلى النبى ﷺ كان على رأسها السيدة ماريه القبطية زوج النبى ﷺ والحقيقة وما نريد أن نؤكد عليه فى هذه النقطة أن العلاقات كانت وثيقة ما بين العرب قبل الإسلام وبعده وما بين أقباط مصر فى كافة المجالات فلم يكن هناك انفصال أو عدم احتكاك بين الطرفين فعلى الصعيد الاقتصادى أو التجارى كانت هناك معاملات فينكر القلقشندى فى "صبح الأعشى" أن العرب قبل الإسلام كانوا يستوردون من أقباط مصر النسيج الذى يعرف باسم القباطى[٢٤]نسبة إلى القبط ثم بعد الإسلام أصبحوا يستوردون الديباج[٢٥] وعلى هذا نرى أنه لم تكن هناك غربة أو وحشة ما بين أقباط مصر والعرب الفاتحين مما سهل فيما بعد عملية التعايش بين الطرفين.

٩

معاملة الفاتحين المسلمين لأقباط مصر:-

كان الجيش العربى الذى قام بفتح مصر يتكون من إثنى عشر ألف مقاتل جلهم من القبائل العربية المختلفة. وبعد الفتح ظل العرب يتدفقون إلى مصر فى موجات متتابعة كان أكبرها كما يذكر الكندى هجرة قبائل قيس[٢٦] فى سنة ١٠٩هـ-٧٢٧م فى خلافة الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥هـ)-(٧٢٤ – ٧٤٣م) وفى هذا يقول الكندى "مات هشام وبلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس" والحقيقة نستطيع أن نلمح منذ البداية فى يسر ووضوح أن الحرب لم تكن قائمة إلا بين العرب الفاتحين والروم. وأن القبط قد وقفوا من الجيشين موقف المحايد. وإن كانوا - كما يضيف د/ جمال الدين الشيال - فى سرائرهم يتمنون النصر للعرب لما سمعوه عنهم من حسن السياسة وطيب المعاملة[٢٧] .

وقد كان الأقباط في مصر وقت الفتح الإسلامي يشكلون غالبية الشعب المصري وفي هذا يقول المقريزي: "اعلم أن أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى وهم على قسمين متباينين في أجناسهم وعقائدهم: أحدهما أهل الدولة، وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم، ورأيهم ودياناتهم بأجمعهم ديانة الملكية، وكانت عدتهم تزيد على ثلاثمائة ألف رومي، والقسم الآخر عامة أهل مصر ويقال لهم القبط، وأنسابهم مختلطة، لا يكاد يتميز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الإسرائيلي الأصل من غيره، وكلهم يعقوبية فمنهم كتاب المملكة، ومنهم أهل الفلاحة والزرع، ومنهم أهل الخدمة والمهنة، وبينهم وبين الملكية – أهل الدولة – من العداوة ما يمنع مناكحتهم، ويجب قتل بعضهم بعضا"[١] وهكذا على تلك الحالة من العداوة والبغضاء بين أهل البلاد وحكامهم من الروم لقي أقباط مصر الفاتحين المسلمين.

وفي البداية أود أن أذكر في تلك النقطة الخاصة بالمعاملة أن العرب لم يشتطوا في معاملة أقباط مصر شأنهم في هذا شأن معظم المدن التي فتحت على أيديهم، بل عاملوا أقباط مصر بمنتهى اللين، فخيروهم بين الإسلام والبقاء على دينهم، فكان من أسلم منهم صار له ما للمسلمين من الحقوق، وعليه ما عليهم من الواجبات، ومن بقي على دينه فرضت عليه جزية[٢] صغيرة مقدارها دينارات على من بلغ الحلم منهم، واستثنوا النساء والشيوخ والأطفال، أضف إلى ذلك رفع الاضطهاد عنهم وعدم تحميلهم مالا يطيقون، كما سبق أن أسلفنا في عهد الرومان، وبهذه الطريقة أتيح للفاتح العربي الكبير عمرو بن العاص أن ينفذ مشروعاته وأوامره دون أن يلقى عناءً كبيرا، والحقيقة كما يذكر د/حسن إبراهيم أن عمرا كان يضع مصلحة المصريين نصب عينيه ولم يأل جهدا في اكتساب محبتهم فدانوا له بالطاعة وأحبوا ولايته"[٣]. ويكاد يجمع مؤرخو المسلمون في هذا العصر على المعاملة الحسنة وسياسة التسامح التي حظي بها أقباط مصر من قبل الفاتحين المسلمين ومما يدل على ذلك ما ذكره البلاذري في كتابه "فتوح

البلدان" حيث يقول: إن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وفى قول آخر الحسين بن على بن أبى طالب كلم معاوية بن أبى سفيان فى إسقاط الجزية عن أهل قرية أم إبراهيم بن الرسول ﷺ بمصر فأسقطها عنهم وذلك اقتداءً بأمر النبى ﷺ الذى كان يوصى بالأقباط خيراً[٣١]. هذا ونرى أن نظام الجزية فى حد ذاته كان من أكبر علامات ومظاهر التسامح من قبل الفاتحين المسلمين فقد خرج النساء والصبيان والشيوخ العجائز من الجزية التى فرضها عمرو بن العاص على أهالى مصر من القبط[٣٢] ولم تكن سياسة التسامح وحسن المعاملة وليدة المرقف ذاته بعد الفتح بل هو أسلوب محفور فى نفس القواد المسلمين الفاتحين حملوه معهم أينما حطوا ليذكر البلاذرى أنه بعد أن تم فتح مصر بلا عهد[٣٣] قام الزبير بن العوام وقال لعمرو بن العاص اقسمها بيننا- ويقصد هنا أرض مصر التى فتحت عنوة - فقال عمرو: لا والله لا أقسمها حتى اكتب إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، فكتب إلى عمر، فكتب إليه أن يقرها على حالها حتى يحاربه أهلها[٣٤]. وقد صالح المقوقس - حاكم مصر من قبل إمبراطور الروم هرقل - عمرو بن العاص على أن يفرض على القبط دينارين فقط على كل من بلغ الحلم من الرجال، وعندما بلغ ذلك هرقل صاحب الروم سخط أشد السخط وبعث الجيوش إلى الإسكندرية[٣٥] ففتحها عمرو بن العاص عنوة[٣٦] ويضيف البلاذرى نقلاً عن شاهد عيان وهو عقبة بن عامر الجهنى، أحد من شهدوا فتح مصر مع عمرو بن العاص ويقول: "كان لأهل مصر عهد وعقد وكتب لهم عمرو: أنهم آمنون على أموالهم وديانتهم ونسائهم وأولادهم لا يباع منهم أحد، وفرض عليهم خراجاً لا يزاد عليهم، وأن يدفع عنهم خوف عدوهم، وقال عقبة، وأنا شاهد على ذلك"[٣٧].

والحقيقة عندما نتأمل شروط الصلح السابقة نرى شيئاً فريداً فعندما فرض عمرو على أقباط مصر خراجاً معنى هذا أن الأراضى الزراعية ظلت فى أيدى النصارى ولم تنزع منهم كما كان يفعل معهم من قبل، وأيضاً عدم

زيادة تلك الضريبة الخراجية بما لا يطيقون يدل على حُسن سياسة عمرو وذكائه في محاولة استمالة أقباط مصر وضرب المثل الرائع لهم عمليا بحسن أخلاق الفاتحين الجدد.

ويبدو أن خطط عمرو بن العاص كانت طموحة جدا بالنسبة لمصر بعد الفتح، فقد حاول عمرو منذ البداية اكتساب ثقة أقباط مصر، ففي أول الأمر لم يثقل عليهم في الجزية علاوة على أن عمرا يعرف أنه باكتساب أقباط مصر إلى جانبه سيكسب كثيرا، ومن هنا جاءت جباية مصر في عهده ثلاثة فيقال أن جباية مصر في عهد عمرو ابن العاص ألف ألف في حين جاءت جباية مصر في عهد عبد الله بن سعد بن أبي السرح والي مصر من قبل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أربعة آلاف ألف، مما دفع سيدنا عثمان أن يقول لعمرو : "إن اللقاح بمصر بحك قد درت ألبانها" ويعني أن الناقة - أي مصر - قد زاد خراجها في عهد عبد الله بن سعد عن عهده، فرد عليه عمرو قائلا "ذاك لإنكم أعجفتم فصيلها " - أي أنهم بالغوا في فرض الجزية على أهالي البلاد حتى حدث لهم هزال[٣٨] ، وقد صدق حدث عمرو بالفعل وقام أقباط مصر بعدة ثورات كما سنذكر لاحقا من شدة وطأة الجزية التي فرضت عليهم . ١٢

ويضيف البلاذري أن أقباط مصر تفاوضوا مع الفاتحين المسلمين كي يعاملوهم كما عاملوا أهالي الشام في أعقاب الفتح الإسلامي في الشام حيث وضعوا على النصارى واليهود في الشام الجزية، وأقروهم على الأراضي التي تحت يديهم يعمرونها ويؤدون خراجها وبالفعل فرضت الجزية على كل حالم فقط ومقدارها دينارين - وتسقط الجزية عن الفقير منهم - ووضع على أصحاب الأراضي مع الدينارين ثلاثة أرادب من الحنطة وقسطي زيت وقسطي عسل وقسطي خل، وتجمع هذه الأشياء في دار الرزق وتقسم على المسلمين . ثم أحصى عمرو المسلمين وألزم أقباط مصر لكل رجل منهم جبة صوف وبرنسا. Albronz[٣٩] أو عمامة وسراويل Zaraguelles [٤٠]، وخفين في كل عام.

ويمكن أن تبدل الجبة الصوف بثوب قبطي[١] وكتب عليهم بذلك كتاب وشرط عليهم إذا وفوا بذلك أن لاتباع نساؤهم وأبناؤهم ولا يتعرضون للسبى وان تقر لموالهم وكنوزهم فى أيديهم، وكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" فأجاز ذلك[٢]. وإذا نظرنا نظرة تحليلية متأنية إلى تلك الشروط التى تفاوض بها عمرو بن العاص مع أقباط مصر رأينا ان تلك الشروط تمثل نوعاً فريداً من العدالة فى توزيع خيرات هذا البلد المفتوح، علاوة على أن المسلمين هم الفاتحون المنتصرون ورغم غلبتهم على أقباط مصر لصحاب الأرض والبلد لم يحاولوا انتزاع كل ما يقع تحت أيديهم بل حاولوا ان يشاطروهم بنسبة ضئيلة بالقياس إلى ما كانوا يدفعونه إلى الروم من خيرات هذا البلد الكثيرة، ونرى كذلك محاولة الفاتحين المسلمين العيش والتعايش جنباً إلى جنب مع أقباط مصر، فكانت روح الفروسية العربية التى خرجوا بها من شبه الجزيرة العربية سابقة لكل القوانين الحربية الوضعية التى شهدها التاريخ الإنسانى كله فى عصور سابقة بل ولاحقة. فلا يصادفنا كثيراً بين دفتى كتب التاريخ أن يتفاوض غالباً مع مغلوب بمثل تلك الاستنارة والرحمة.

١٣

ويذكر د.أحمد مختار العبادى أن عمرو بن العاص استخدام آلاف العمال المصريين فى إصلاح طرق الرى فى مصر صيفا وشتاءً[٣] وربما لجأ عمرو إلى استخدام المصريين فى تلك الأعمال بصفة خاصة لخبرتهم الواسعة فى هذا المجال علاوة على إدماجهم تحت لوائه وفتح أبواب الرزق أمامهم من جهة ثالثة ولم تكن العمالة تخضع لأى نوع من أنواع السخرة كما تذكر كتب التاريخ بذلك فى عصور لاحقة.

والخلاصة كما يذكر د. حسن إبراهيم أن مؤرخى العرب أجمعوا على أن القبط كانوا أعواناً للعرب فى حصار[٤] الفرما[٥] وهى من أوائل المدن التى فتحها العرب.

وحول بقاء معظم أراضى مصر الزراعية فى يد أصحابها من الأقباط يذكر د. محمد أمين صالح، أن معظم أراضى مصر ظلت فى يد أصحابها المصريين الأقباط بيد أنه فرض عليهم الخراج الذى كان يقدر بمدى نوعية الأرض وخصوبتها، وأيضا بمدى الفيضان ومقداره، علاوة على نوع المحصول[٤٦] ولقد كانت عقلية عمرو بن العاص من الناحية الاقتصادية عقلية شديدة الوعى والمعرفة بأمور مصر الزراعية ومعرفة كيفية التصرف مع أقباطها حيال هذا الأمر فيذكر د. السيد عبد العزيز سالم أن عمرو بن العاص أقام عدة مقاييس للنيل وفى مواقع مختلفة من البلاد يستطيع عن طريقها أن يحدد مقدار الخراج، وراعى عمرو بن العاص مقدرة أهل مصر فى دفع الضرائب[٤٧] وتبرز هنا سياسة عمرو الواضحة تجاه أقباط مصر من خلال هذا النص الذى أورده المقريزى. فقد حدث أن استبطأ الخليفة عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" خراج مصر فأرسل إلى عمرو بن العاص يستفسر منه عن سر التأخر فى إرسال خراج مصر، فكتب إليه عمرو بن العاص قائلا "فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئ فى الخراج، ويزعم أنى أحيد عن الحق وأنكث عن الطريق، وأنى والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من أن تخرق بهم فيصيروا إلى بيع مالا غنا بهم عنه والسلام"[٤٨] وفى هذا الخطاب ما يدل بما لا يدع مجالا للشك على حُسن معاملة الفاتحين المسلمين لأهل مصر من القبط وخاصة فى النواحى الاقتصادية – أى عمليتي جمع الجزية والخراج – ويضيف المقريزى فى موضع آخر بأن نصارى مصر قد أخذوا من الفاتحين المسلمين ستة عهود ومواثيق وهى ألا تؤخذ منهم أرضهم، ولا يزاد عليهم شئ، ولا يكلفوا غير طاقتهم، ولا تؤخذ ذراريهم ولا نسائهم، وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم، ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم[٤٩] ومن الأسباب التى دفعت أقباط مصر إلى محبة الفاتحين المسلمين ما يذكره د. حسن إبراهيم حسن ويقول: إن ابنة

١٤

المقوقس حاكم مصر من قبل الروم كانت بمصر حين فتحها المسلمون، فأرسلها عمرو بن العاص إلى أبيها معززة مكرمة، مما أكسب المسلمين محبة الأقباط فحسن رأيهم فيهم وفى حكمهم[٥٠] أما على صعيد المعاملة الدينية فلم يتدخل الخلفاء فى عقيدة المصريين الدينية وبخاصة فى فترة حكم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، بل تمتع المصريون بحريتهم الدينية التى كانوا قد افتقدوها فى ظل الحكم البيزنطى، وكان يسمح لهم بانتخاب بطاركتهم، بل إن الفاتحين المسلمين انحازوا للأرثوذكسية[٥١] عقيدة غالبية المصريين، بحيث غلبت على كنائس مصر وديارتها، وعاد كثير من القبط إليها بعد أن كانوا قد اضطروا إلى الخروج عنها نتيجة لتعذيب البيزنطيين، كما أن عمرا ومن خلفه من الولاة، لم يمسوا إطلاقا أموال الكنيسة القبطية، ولم يأخذوا الجزية من الرهبان ورجال الدين، وكذلك بنيت فى هذا العهد كنائس كثيرة مثل: كنيسة القديس مرقص فى الإسكندرية ومار جرجس فى الفسطاط[٥٢]، كذلك أبقوا على الكتاب القبطى فى الإدارة وأحلوهم مكان البيزنطيين[٥٣]. ولقد كان المسلمون يشتركون مع الأقباط فى الصلاة من أجل النيل إذا جاء منخفضا، وكانت هذه الصلاة تعرف بصلاة الاستسقاء[٥٤].

ومما يدل أيضا على حسن سياسة العرب فى مصر أنهم لم يفرقوا بين الملكانية واليعاقبة من المصريين الذين كانوا متساويين أمام القانون، والذين أظلهم العرب بعدلهم وحموهم بحسن تدبيرهم[٥٥] ودليل آخر على حُسن المعاملة فى أن القبط قد سكنوا بمدينة الفسطاط الإسلامية إلى جوار الفاتحين المسلمين، فى المكان المعروف بزقاق مسجد القبة بقصر الشمع، حيث كان يسكن جماعة من أعيان الأقباط[٥٦] ويضيف ابن دقمان أن القبط سكنوا أيضا وبخاصة أكابرهم فى درب السلسلة[٥٧].

معاملة عمرو لأقباط الإسكندرية:

كانت مدينة الإسكندرية هي عاصمة مصر عند الفتح العربي الإسلامي، وقد كانت هذه المدينة من أكبر مدن العالم المعروفة على عصرها[٥٨] وقد أكمل عمرو بن العاص مسيره قاصداً مدينة الإسكندرية[٥٩]، التي استعدت لقتاله، وبخاصة جيش الروم، أما أقباط المدينة فقد التزموا الموادعة، وعقد الصلح مع عمرو بن العاص، حيث أرسل إليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة إلى مدة معينة، فرفض عمرو عرض المقوقس، فأمر المقوقس النساء بأن يقمن على سور المدينة متجهات بوجوههن إلى الداخل والرجال من أمامهن مقبلين بوجوههم إلى الخارج، كي يرهب المسلمون كثرة أعدادهم، فأرسل إليه عمرو من يقول له أنه قد كشف خدعته وأن المسلمين لا يرهبون كثرة الجيوش الرومية، علاوة على أن جيوش المسلمين قد لقيت هرقل نفسه ملك الروم، وأجبرته على التقهقر والعودة إلى مدينة القسطنطينية عاصمة ملكه، وكان المقوقس يدعوا أصحابه إلى الأذعان والتسليم لجيوش المسلمين التي لا قبل لهم بمحاربتها فأبى اتباعه إلا المحاربة، وقاتلهم المسلمون ثلاثة أشهر قتالاً شديداً، وحاصروهم إلى أن فتحت المدينة عنوة، ورغم هذا الفتح الحربي الذي تحدد بالقوة الإسلامية، إلا أن عمرا بن العاص عفا عن أهل المدينة ولم يسب منها أحد وجعلهم أهل ذمة، ثم كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بفتح مدينة الإسكندرية[٦٠] وقد قام عمرو بن العاص - في أثناء فتح مدينة الإسكندرية وعقد الصلح مع المقوقس حاكم مصر والذي كان يوجد في المدينة في ذلك الوقت – بتأمين القبط مما جعل أقباط مصر يأخذونها جميلاً حسناً من عمرو. علاوة على خروج جماعة من رؤساء القبط يصلحون لهم الطرق ويقيمون لهم الجسور والأسواق، وصاروا بالفعل عوناً كبيراً لهم في قتالهم ضد الروم، وقد ساند الأقباط ورؤسائهم عمرو بن العاص قرابة الشهرين أثناء حصاره لمدينة الإسكندرية قبل الفتح كانوا يمدونهم بما يحتاجون إليه من الأطعمة والأعلاف وغيرها[٦١] وقد

١٦

اشترط عمرو على الأقباط أن يكون للمسلمين الحق فى النزول عليهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم، وفى مقابل ذلك لا يتعرض المسلمون لأراضيهم وأموالهم، وتعهد أقباط مصر بإقامة النزل للمسلمين والضيافة وإقامة الجسور وإصلاح الطرق ما بين الفسطاط والإسكندرية[٦٠].

والواقع أن فتح مدينة الإسكندرية لم يشهد مقاومة أو معارضة من جانب أقباط مصر الذين التزموا دائما جانب الحياد، وإنما ظلت المقاومة مستمرة من جانب القوات الرومية التى أحست دائما بالذلة وبخاصة فى عملية أداء الجزية فقد بعث الروم الموجودون فى الإسكندرية إلى قسطنطين بن هرقل والذى تولى العرش بعد موت أبيه يخبرونه بقلة عدد الحامية الإسلامية المرابطة فى ثغر الإسكندرية ويحثونه على إرسال حملة لاسترداد المدينة من أيدى المسلمين وبالفعل أرسل حملة مانويل سنة ٢٥هـ - ٦٤٥م فى ثلثمائة مركب مشحونة بالجنود وتمكنوا من استرداد مدينة الإسكندرية مرة أخرى، وعندما علم عمرو بن العاص بسقوط الإسكندرية فى أيدى الروم، هرع إليها فى خمسة عشر ألفا من الجنود المسلمين وتمكن من استرداد المدينة وهدم أسوارها وقتل القائد الرومى مانويل[٦٢] والثابت تاريخيا أن معظم أقباط الإسكندرية ظلوا بها ولم ينزحوا عنها بعد الفتح الإسلامى ومما يدل على ذلك ما يذكره البلاذرى حول مبلغ الجزية فى مدينة الإسكندرية فيذكر أن مبلغ الجزية وصل إلى ثمانية عشر ألف دينار فى عهد عمرو بن العاص، وهو مبلغ كبير يدل على عدم نزوح الأقباط ممن فرضت عليهم الجزية منذ فعل الروم فى أعقاب حملة مانويل الفاشلة[٦٣] ويذكر د.حسن إبراهيم أن القبط لم يرحبوا بعودة بلادهم - أى مدينة الإسكندرية - إلى الروم فيسمونهم الخسف لمظاهرتهم للعرب، ورضائهم عن حكمهم من جهة، ولما كان بينهم وبين الروم من الخلاف المذهبى الذى كان مصدر شقائهم من جهة أخرى. لهذا كتب القبط إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، يلحون

١٧

عليه فى إسناد حروب الروم إلى عمرو بن العاص، لما كسبه من حروبه معهم من خبره، فولى عثمان عمرا الإسكندرية، وعهد إليه بحرب الروم وإخراجهم من مصر، وفى مدينة نقيوس دار القتال بين جند عمرو وجند ماتويل فى البحر والنهر، وشد المسلمون على العدو وانتصروا عليه، وفى الموضع الذى رفع فيه السيف بنى عمرو مسجدا أطلق عليه مسجد الرحمة، وقام بهدم سور الإسكندرية وبسقوط الإسكندرية ثبتت أقدام العرب فى مصر[٦٥].

وقام عمرو بن العاص بعقد صلح الإسكندرية مع المقوقس حاكم مصر. جعل فيه عمرو أهل الإسكندرية أهل ذمة، وترك لهم حرية البقاء أو الرحيل، شأن العرب مع أهالى معظم البلاد التى فتحوها، وإنما عامل عمرو أقباط مصر معاملة من فتحت بلادهم صلحا ليستجلب محبتهم ويتلخص الصلح الذى عقده عمرو مع المقوقس فيما يلى:-

١٨ ١) أن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين فى كل سنة.

٢) المهادنة احد عشر شهرا.

٣) احتفاظ العرب بمركزهم مدة الهدنة، وألا يباشروا أعمالا حربية ضد الإسكندرية، وأن يكف ضد الروم عن الأعمال العدائية.

٤) ألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء وألا يتدخلوا فى أمور المسيحيين.

٥) أن ترحل الحامية مع ما يملكون من أموال ومتعة وأن يدفعوا الجزية عن شهر عند رحيلهم.وقد حاول عمرو

٦) بقاء اليهود بالإسكندرية.

٧) ألا يعود أو يحاول استرداد مصر جيش رومى.

٨) أن يكون عند المسلمين من الروم ١٥٠ جنديا و٥٠ ملكيا رهينة لتنفيذ هذه المعاهدة.

ونرى بوضوح من خلال هذه المعاهدة رغبة عمرو فى اكتساب أقباط مصر والمحافظة على كنائسهم ومقدساتهم[٦٦] .

وقد حاول عمرو بن العاص التقرب وتقريب بعض كبار الشخصيات المسيحية في مصر ومنهم بنيامين بطريرك الإسكندرية الذي دعاه عمرو للحضور آمنا مطمئنا فلما حضر إلى كرسيه البطريركي احتفل به عمرو بن العاص وأطلق يده في الأشراف على شئون القبط. فقام بنيامين بدوره بإبلاغ الأقباط سكان مصر بانقطاع ملك الروم. وبأمرهم بتلقي عمرو وجيوشه، ويبدو أن فريقا من الأقباط أطاع بنيامين وساعدوا المسلمون وانضموا إليهم وكانوا عونا لهم[١٧]. وقد كتب عمرو بن العاص للبطريرك بنيامين والأساقفة عهود الأمان التي كانوا قد افتقدوها في أثناء الحكم البيزنطي، وفروا متخفين إلى الصحراء والجزر هاربين[١٨].

وقد عاد بنيامين إلى الإسكندرية بعد أن غاب عن كرسي البطريركية ثلاثة عشرة سنة فأمره عمرو بن العاص بضبط أحوال الكنيسة القبطية[١٩] وقد أمر عمرو بن العاص باستقبال بنيامين عندما جاء من منفاه في الصحراء إلى الإسكندرية أحسن استقبال والقى على مسامعه خطابا بليغا ضمنه الاقتراحات التي راها ضرورية لحفظ كيان الكنيسة، فتقبلها عمرو ومنحه السلطة التامة على القبط والسلطان المطلق لإدارة شئون الكنيسة[٢٠]، وقد لاحظ بتلر أن عودة بنيامين إلي عرش الكنيسة كفاها شر الوقوع في أزمة خطيرة، علاوة على أن عمرو لم يضع يده على شئ من ملك الكنائس،ولم يرتكب شئ من النهب والغصب ، بل إنه حفظ الكنائس وحماها إلى آخر مدة حياته، ويضيف بتلر قائلاً : إذن فما كان أعظم ابتهاج القبط بخلاصهم مما كانوا فيه، فقد خرجوا من عهد ظلم وعسف وتطاول بهم، وهوت بهم إليه حماقة البيزنطيين، وآل أمرهم بعد خروجهم منه إلى عهد من السلام والاطمئنان،وكانوا من قبل تحت نارين من ظلم حكام الدنيا واضطهاد أهل الدين ، فأصبحوا وقد فك من قيدهم في أمور الدنيا ، وارخى من عنانهم.وأما دينهم فقد صاروا فيه إلى تنفس حر وأمر طليق، وقد يقال إن حكامهم الجديدين قد أدخلوا إلى الأرض دينا غريبا غير دين

١٩

المسيح، وهذا حق. غير أنهم لم يروا في ذلك إلا عدلا من الله إذا أجمع الناس على قول واحد فقالوا: "ما خرج الروم من الأرض وانتصر عليهم المسلمون، إلا لما ارتكبه هرقل من الكبائر، وما أنزله بالقبط وملتهم على يد قيرس، فقد كان هذا سبب ضياع أمر الروم وفتح المسلمين لبلاد مصر" هكذا كان الناس يرون، وهكذا كانوا يحكمون[٢١]. والحقيقة كيفما كان الأمر من رأى أقباط مصر في حكامهم الجدد يتضح لنا من خلال ما عرضناه من سياسة عمرو وبخاصة سياسة التسامح الديني، مما مكن أقباط مصر من حرية ممارسة شعائرهم الدينية، كان هو العامل الأهم في تقبل الفاتحون المسلمون بسهولة ومحاولة التعايش معهم في سلام بعد زمن من الاضطرابات والاضطهاد. وقد شجعت هذه السياسة السمحة العديد من أقباط مصر للدخول في الدين الإسلامي ويذكر د. جمال الدين الشيال في كتابه تاريخ مصر الإسلامية: أن دخول الأقباط في الدين الإسلامي كان دخولاً طبيعيا، يسير مع التطور المنطقي للأحداث، وللتاريخ في مصر بعد الفتح الإسلامي وأن الدين الإسلامي ببساطته وبساطة تعاليمه وعقائده قد جذب هؤلاء الأقباط إليه[٢٢] ويؤيد رأى د. الشيال شاهد عيان من الديانة المسيحية وهو المؤرخ والمستشرق الإنجليزي المعروف سير توماس أرنولد SirThomas Arnold في كتابه الدعوة إلى الإسلام. The Preaching of Islam حيث يقول:- "الحق أن كثيرا من مسيحي مصر تركوا النصرانية بمثل هذه السهولة وتلك السرعة التي اعتنقوا بها النصرانية في مستهل القرن الرابع الميلادي، كما أن سرعة انتشار الإسلام في الأيام الأولى من الاحتلال العربي قد تكون راجعة إلى عجز ديانة كالديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء، أكثر من أن تكون راجعة إلى الجهود الظاهرة التي قام بها الفاتحون لجذب الأهلين إلى الإسلام، وأن الأساس اللاهوتي لبقاء اليعقوبيين حزبا منفصلا، والشعائر التي جاهدوا في سبيل الاحتفاظ بها وقتا طويلا، ودفعوا ثمنا غاليا في هذا السبيل، قد اجتمعت في عقائد كانت صيغتها أشد ما تكون غموضا وإبهاما من الناحية الميتافيزيقية، ولا

شك أن كثيرا من هؤلاء قد تحولوا – وقد أخذت الحيرة منهم كل مأخذ، واستولى على نفوسهم الضجر والإعياء من ذلك الجدل السقيم الذى احتكم حولهم إلى عقيدة تتلخص فى وحدانية الله البسيطة الواضحة ورسالة نبيه محمد ﷺ[٧٣].

وإذا ما انتقلنا بالحديث إلى مجال الحياة الاجتماعية فنرى أن العرب والفاتحين المسلمين كعادتهم لم يترفعوا عن الاختلاط بالشعوب المغلوبة، فقد حدثت عملية لختلاط كبيرة بين العرب وأهل مصر من الأقباط، بحيث اختلطت أنساب العرب بأنساب المصريين بما حدث بينهم من تزاوج[٧٤] ويذكر المقريزى فى معرض حديثه عن أرض مصر الزراعية وخراجها، أن العرب بعد نزولهم بمصر وتفرقهم فى أريافها واستيطانهم ومخالطتهم لأهلها حدث لختلاط فى الأنساب ما بين العرب الفاتحين وأهل مصر من الأقباط إما لزواج الرجال المسلمين من نساء مسيحيات أو نتيجة لإسلام الرجال المسيحيين مما يتيح لهم الزواج بالمسلمات[٧٥].

٢١

اللغة القبطية:.

وقد كان التحول الكبير فى حياة أقباط مصر واندماجهم مع المسلمين فى نسيج واحد، تحولهم من اللغة القبطية إلى اللغة العربية[٧٦]وقد ظل هذا التحول يتم بالتدريج خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، حتى إذا كان القرن الرابع الهجرى (١٠م)، كانت غالبية الشعب المصرى يتكلمون العربية ولا يفهمون القبطية، بدليل أن رجال الكنيسة القبطية اضطروا فى هذا القرن أن يلقوا مواعظهم فى الكنائس باللغة العربية[٧٧].

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن بعض المسلمين تعلموا اللغة القبطية فى هذا العهد الأول - بداية عهد الاختلاط ما بين المسلمين والمسيحيين - حيث يذكر الكندى أن بعض القضاة كانوا يسمعون القبط ويخاطبونهم بلغتهم[٧٨]. وربما تعلم القضاة على وجه التحديد اللغة القبطية فى سنوات الفتح الأولى لسهولة قض

المنازعات التى ربما تنشأ بين المسلمين والأقباط علاوة على أن بعض الأقباط لم يكونوا قد أجادوا اللغة العربية بعد.

ثورات الأقباط:

فى النهاية أردت أن أختم هذا الموضوع بإشارة سريعة إلى ثورات الأقباط فى مصر، وبالتحديد إلى بداية الثورات، ولماذا بدأت. والحقيقة التى لا مراء فيها أن هذه الثورات والانتفاضات ضد الحكم الإسلامى جاءت بعد الفتح العربى بنحو مائة عام كاملة وهو ما يوضح بما لا يدع مجالاً للشك المعاملة الحسنة والسمحة التى حظى بها أقباط مصر وبخاصة من الفاتحين الأوائل علاوة على التعايش السلمى جنبا إلى جنب من كلا الطرفين ما يقرب من قرن كامل. وقد كان السبب الرئيسى لأول ثورات القبط فى مصر اقتصاديا بحتا، فلم تكن ثورة عقائدية أو دينية كما هو متوقع مما يؤيد الرأى الذى تنادى به من ترك الحرية الدينية لأقباط مصر. وقد حدثت أول انتفاضة فى مصر سنة ١٠٧هـ (٢٢٥م) فى ولاية الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم، ويرجع السبب إلى أن الحر زاد الخراج على أهل مصر دينارا لكل قيراط من الأرض[٧٩]. ٢٢

والحقيقة أردت أن أبرز هنا أن الثورات كلها كانت لأسباب اقتصادية ومادية بسبب زيادة الخراج وليس الجزية التى لم يذكر فى عوامل قيام الثورات أنها كانت أحد الأسباب[٨٠]. ويذكر د. حسن محمود سببا آخر لثورات أقباط مصر فيقول: كانت تتمثل ثوراتهم أكثر فى الناحية النفسية والأزمات النفسية من قبل المسيحيين تجاه المسلمين فى مصر طوال العصر الأموى، وأول العصر العباسى، وذلك حينما وجد المسيحيون فى مصر أن أعدادهم تتناقص ونفوذهم يتقلص، وإخوانهم الذين أسلموا حديثا يعلو نجمهم فى حياة البلاد[٨١].

وكيفما كان الأمر فما نريد أن نبرزه هنا أن القرن الأول شهد حالة من السلام الدينى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى لم يشهدها عهد بين غالب ومغلوب على مدار التاريخ الإنسانى كله، بما يشهد بأن العصريين نسيجا فريدا

لا مثيل له بين شعوب الأرض قاطبة. وفي النهاية نذكر أنه لم يكد يبدأ القرن الرابع الهجري (١٠م) حتى كان في مصر شعب جديد، هو خليط ممتزج من الشعبين العربي والقبطي، يدين معظمه بالدين الإسلامي، ويتكلم السواد الأعظم منه مسلمين وأقباط اللغة العربية، - رغم ما ذكرته عن انتقاض الأقباط - وما كان ليحدث هذا الامتزاج الرائع إلا نتيجة السياسة السمحة التي دخل بها الفاتحون المسلمون منذ البداية.

الحواشي

[1] والقبط كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر، ويقصد بهم اليوم المسيحيون من المصريين وجمعها أقباط.

البلاذري: (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي) (ت ٢٧٩هـ - ٨٩٢م) فتوح البلدان، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، عمرو أحمد عطوة، الإسكندرية، دار ابن خلدون، بدون تاريخ، ص٢٣٨، هامش (١).

في حين يذكر المقريزي أنه اسم جد Encyclopédie de l'Eslam, Tomo 2, P5 للمصريين.

المقريزي: (تقي الدين أبي العباس أحمد أحمد بن علي المقريزي)(ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، الجزء الأول، الهيئة العامة لتصور الثقافة، الذخائر (٥١) رقم الإيداع ٧٨٦٩/ ٩٩، ص١٨.

[2] عزيز سوريال عطية: الإسكندرية المسيحية، مقال بمجلة الغرفة التجارية، الإسكندرية، ١٩٤٩م، ١٣٦٩هـ ص٧٨،٧٩.

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢م، ص٤١.

[3] عبد العزيز سالم: نفس المرجع، ص٤٢.

ويضيف ملن Milne في هذا الشأن أن المسيحية منذ دخولها مصر انتشرت انتشارا كبيرا مما حذى ببعض أباطرة الرومان إصدار منشورات خاصة تطلب من كل مصري أن يقدم شهادة اختبار للعقيدة، Libellus وأنه قام بتقديم القرابين للآلهة الوثنية، وذلك بقصد الحد

من انتشار المسيحية بين أفراد الشعب المصرى، ورغم تلك الإجراءات الصارمة انتشرت المسيحية بصورة كبيرة، مما أسفر عن ذروة الاضطهاد المسيحي في مصر في عهد الإمبراطور دقلديانوس Diccletianuse وذلك في أواخر القرن الثالث الميلادى، وأوائل القرن الرابع الميلادى = وقد سمي هذا العصر بعصر الشهداء لكثرة القتلى من المسيحيين في مصر على يد هذا الإمبراطور الطاغية.

للمزيد:-

Milne. G.Grafton: Ahistory of Egypt under Roman Rule , London , 1924 , PP128 ,212.

[1] عزيز سوريال: المرجع السابق، ص٨١.

عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص٤٢،٤٣.

[2] عزيز سوريال: نفس المرجع، ص٨٠.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٤٢.

عبد العزيز سالم: الإسكندرية، مقال بدائرة معارف الشعب، العدد ٨٥، القاهرة ١٩٥٩، ص ٣٢٨، هامش (١). ٢٤

[1] عزيز سوريال: نفس المرجع السابق، ص٨١.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٤٢،٤٣. والجدير بالذكر هنا أن في العصر المسيحي وبعد الاعتراف بالمسيحية كدين من أديان الدولة البيزنطية أقيمت العديد من الكنائس بمدينة الإسكندرية منها كنيسة القديس مرقس البشير، على شاطئ الميناء الشرقية، بالقرب من رأس لوكياس، في مسافة قريبة للكنيسة المرقسية الحالية، وكذلك أقيمت كنيسة القديس اثناسيوس التي أسست في سنة ٣٧٠م، وهو نفس المرضع الذى أقيم عليه جامع العطارين فيما بعد الفتح الإسلامي، فقد جاء في كتاب وصف مصر Descriprion de L'Egypte ذكر جامع العطارين بإسم جامع كنيسة القديس اثناسيوس، كذلك تحول معبد القيصروم إلى كنيسة القديس ميخائيل في عصر الإمبراطور قسطنطين، وكذلك أقيمت كنيسة العذراء مريم على يدى الأسقف ثيونس٢٨ ٢ – ٣٠٠م على شاطئ الميناء الغربي، وقد تحولت هذه الكنيسة أيضا إلى مسجد جامع بعد الفتح الإسلامي سمى بالجامع الغربى نظرا لقربه من الميناء أو جامع الألف عمود، وقد تهدم في وقت لاحق.

عزيز سوريال: الإسكندرية المسيحية، ص٨٣.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٤٣.

عبد العزيز سالم. نفس المرجع، ص٤٣ = والحقيقة أن هذا النزاع السياسي استتر وراء الجدل المذهبي حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام، وينقسم المسيحيون فيه إلى طائفتين، أتباع مذهب الوحدانية البحتة، أو الطبيعة الواحدة، والتي تنادي بطبيعة المسيح الإلهية البشرية في آن واحد ويسمون بالمونوفيزيت أو اليعقوبية، وكان هؤلاء يتبعون كنيسة الإسكندرية ثم اصطحب مذهب الطبيعتين، ويسمون بالدوفيزيت أو الملكانيين، وكانوا يتبعون كنيسة بيزنطة التي أنكرت اندماج طبيعة المسيح الإلهية في طبيعته البشرية، ولتحتم النزاع بين الفريقين، وتدخل الأباطرة في هذا النزاع، وعقد الإمبراطور مارسيان لجتماعا وقرر أن مذهب الوحدانية الذي تتبعه كنيسة الإسكندرية كفر وإلحاد وخروج عن الدين الصحيح، وقرر طرد ديسقورس بطريرك الإسكندرية من الكنيسة ونفيه.

للمزيد حول هذا النزاع المذهبي راجع:- الفريد. ج. بتلر: فتح العرب لمصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة المحمد فريد أبو حديد، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م، ص٤٢.

أيدرس بل: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة د. محمد عواد حسين، د. عبد اللطيف أحمد علي، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٢٢٧.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٤٤. ٢٥

[٨] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الدولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، الجزء الأول (١ – ١٣٢هـ) (٦٢٢ – ٧٤٩م) دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ – ١٩٩١ م، ص١٩١،١٩٠.

[٩] عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٤٥،٤٤.

[١٠] قيرس هو نفسه المقوقس وهو اللقب الذي أطلق خطأ على كبير القبط وحاكم مصر في ذلك العصر.

للمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية والآراء التي أثيرت حولها راجع البحث القيم الذي ذكره بتلر في نهاية كتابه. فتح العرب لمصر من ص٤٩٧ إلى ص٥٢٠. وهامش (١) ص ١٢٦.

[١١] للمزيد عن المونوثيليين ومذهبهم وتعاليمه راجع:- بتلر: نفس المرجع، ص ١٢٢، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٠، ١٦١.

[١٢] مدينة قوص: من أعظم مدن صعيد مصر وتقع على نهر النيل وبنيت بعد مدينة قفط، على أيام ملك من ملوك القبط الأول يدعى مدان بن عديم بن قنطريم ولذلك سميت باسم قوص

بن فقط بن لخميم، وتكثر بأرض فرص العقارب السامة، حتى أن سكانها كانوا يمشون ليلا بالمصابيح ومشك من حديد لقتل تلك العقارب، وقد بدأت هذه المدينة في الاندثار مع نهاية القرن الثامن الهجرى.

للمزيد راجع: المقريزى: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية) الجزء الأول، ص٢٣٦.

[١٣] للمزيد عن حياة البطريرك القبطي بنيامين وقصة هروبه إلى أديرة الصحراء راجع:-

بتلر: فتح العرب لمصر، ص١٥٦ وما يليها.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٤٧.

[١٤] ch. Diehl: Histoire du moyen Age, Tomo III, Lemondé Oriental, Paris 1936, P141.

إدوارد بل: مصر من الإسكندر الأكبر، ص٢٥٣.

[١٥] Milne. G.Grafton: History of Egypt under Roman Rule, London 1913, PP 115 – 125.

[١٦] وللمزيد حول مظاهر هذا الاضطهاد راجع:- عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٧م، ص١٢ وما يليها. ٣٩

[١٧] O'leary, de Lacy: The Coptic Churches and Egyptian Monasticism. Oxford 1941, PP 317.

عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، التاريخ السياسى فى مصر، دار الفكر العربى، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٤٢.

[١٨] البلاذورى: فتوح البلدان، دار بن خلدون، بدون تاريخ، ص٢٤٢.

[١٩] عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ مصر الإسلامية، ص٧ = أرسلت السيدة (مارية) فى هدية عظيمة إلى النبي ﷺ مع جارية أخرى تدعى (شيرين)، وبغلة سماها النبى ﷺ (دلدل) ويزعم البعض خطأ أنها كانت أول بغلة عرفت فى بلاد العرب، وكذلك كان فى الهدية حمارا اسمه يعفور أو عفير، ومثقال من المال، وقد أسلمت السيدة مارية وتزوجها النبى ﷺ وأحبها وأنجب منها إبراهيم الذى مات صغيرا ومات سنة ٦٣٦م، ١٥هـ، وبذلك لم تشهد فتح مصر وخضوعها للعرب.

ابن عبد الحكم: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي) (١٨٧ ــ ٢٥٧هـ) ــ (٨٠٢ ــ ٨٧٠م) فتوح مصر والمغرب والأندلس، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩١٤م، جـ٢، ص٤٢.

ينظر: فتح العرب لمصر، ص١٢٦.

[٢٠] البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٢.

[٢١] الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) (٢٢٤ ــ ٣١٠هـ) (٨٣٨ ــ ٩٢٢م).
تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م، ص٥١٤.

ابن عبد الحكم: فتوح مصر، جـ١، ص١٠٢.

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص٧.

ينظر: فتح العرب لمصر، ص١٩١،١٩٠.

[٢٢] ينظر: نفس المرجع، ص٢٧٩،٢٧٨.

[٢٣] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص١٢٨.

٢٧ ابن عبد الحكم: فتوح مصر، جـ٢، ص٤٢.

حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، جـ١، ص١٣٥.

ولقد جاء في رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس حاكم . بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ صدق الله العظيم سورة آل عمران: سورة (٣) آية ٦٤.

[٢٤] القلقشندي: (أبو العباس أحمد) ٨٢١هـ ــ ١٤١٨م صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة ١٩١٣ ــ ١٩١٩م، جـ٤، ص٢٨٩.

وقد كان أقباط مصر مصدراً أساسياً لصناعة النسيج فيما كان يعرف حينئذ بدور الطراز.

Ser Jeant: Material for History of Eslamic Textiles, Arts Islamica, VOLIX, 1992, P65.

[٢٥] هو نوع من الحرير ويكاد يكون أفخر أنواعه.

R.Dozy: Supplément aux dictionnaires arabes. leyden 1881, 2éd, Tomo 1, P421.

[٢٦] الكندى: (أبو عمر محمد بن يوسف) ٣٥٠هـ - ٩٦١م كتاب الولاة والقضاة، تحقيق رفن جست، بيروت، لبنان ١٩٠٨م، ص٧٧.

المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٨٠.

جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى، الجزء الأول، دار المعارف، بدون تاريخ، ص٥٧.

ويورد لنا المقريزى نبوءة عن النبى ﷺ حول فتح العرب لمصر حيث يقول: قال رسول الله ﷺ منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مدها ودينارها، ومنعت مصر أردبها - أى غلالها - وعدتم من حيث بدأتم، مما يعنى أن النبى ﷺ كان يعلم ما لم يكن معلوم إلا فى علم الله، وأعلم بهذا قبل وقوعه، مما يدل على إثبات نبوته، ويضيف المقريزى أن فى تفسير المنع وجهان أحدهما وهو الأرجح أن أهل هذه البلاد سوف يدخلون فى الإسلام فيسقط عنهم ما وجب عليهم فعادوا ممنوعين بإسلامهم. والتفسير الآخر خروجهم عن طاعة المسلمين وهو الرأى الأضعف حيث أن الخروج لم يكن يحدث إلا نتيجة تعسف من قبل بعض الولاة فاصرى النظر كما سنرى لاحقا فى ثنايا البحث عند الحديث عن ثورات الأقباط. ٢٨

للمزيد راجع المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٧٦.

[٢٧] جمال الدين الشيال: نفس المرجع، جـ١، ص٢٩.

[٢٨] المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ٤، ص٢٩٣.

الشيال: تاريخ مصر، جـ١، ص٥٩.

[٢٩] الجزية: هى الأموال التى تؤخذ من أهل الذمة، وتسمى أيضا ضريبة الرؤوس وقد كانت تسقط بالإسلام.

البلاذرى: فتوح البلدان، ص٢٤٥.

وقد نص عليها القرآن الكريم فى قوله تعالى "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" صدق الله العظيم. سورة التوبة رقم (٩)، آية (٢٩).

وقد فرضت الجزية على أهل الكتاب، كما فرضت الزكاة على المسلمين حتى يحدث تساوى بين الطرفين، حيث يتمتع الفريقان برعاية الدولة الإسلامية التى تظلهما، فأهل الذمة ليس فى مواشيهم وإبلهم أو أبقارهم أو أغنامهم زكاة، يتساوى الرجال والنساء من أهل الذمة فى ذلك.

ولهذا ليست الجزية دينا على النفس، وإنما هى واجب مقابل الخدمات التى يحصل عليها من الدولة، وانتفاعه بمرافقها وحمايتها للمزيد راجع:-

أبو يوسف: (يعقوب بن ابراهيم) ١٩٢هـ – (٨٠٧ – ٨٠٨م) كتاب الخراج، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م، ص٦٩ – ٧٢.

[٣٠] حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام السياسى، جـ١، ص١٩٦.

ويضيف د. السيد عبد العزيز سالم أن جزية الرؤوس التى فرضت على أهل الذمة من القبط واليهود والروم(دينارين فى السنة) كانت مقابل تأمينهم على أموالهم وكنائسهم والدفاع عنهم، وأعفى من الضريبة النساء والأطفال والشيوخ.

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦.

[٣١] البلاذرى: فتوح البلدان، ص٢٤٢.

[٣٢] البلاذرى: نفس المصدر، ص٢٤١.

المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٧٦.

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص٢١.

٢٩ [٣٣] وقد تضاربت الأقوال تضاربا كبيرا فى فتح مصر وهل فتحت صلحا أم فتحت عنوة والحقيقة أن تضارب هذه الأقوال يدل على أن بعض أجزاء مصر فتحت صلحا كما جاء فى المعاهدات التى حوتها كتب المورخين المسلمين والبعض الأخر فتح عنوة. وما يهمنا هنا أن ما فتح صلحا ظل عهده مع المسلمين باقيا أما ما فتح عنوة فقد كان لا عهد له قبل المسلمين. للمزيد حول هذا الموضوع راجع:-

المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٧٧.

[٣٤] البلاذرى: نفس المصدر، ص٢٤١، ٢٣٦.

[٣٥] كانت مدينة الإسكندرية هى عاصمة مصر فى ذلك الوقت ومقر القوات الرومانية فى مصر.

[٣٦] البلاذرى: نفس المصدر، ص٢٤٢.

[٣٧] البلاذرى: نفس المصدر، ص٢٤١.

[٣٨] البلاذري: نفس المصدر، ص٢٣٨، ٢٣٩.

المقريزي، المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٨٩.

[٣٩] البرنس Albronz: هو زي مغربي الأصل والمنشأ وقد انتشر بصورة كبيرة في الأندلس وخاصة بعد عبور المرابطين إلى الأندلس، والبرنس كان يستخدمه الرجال ثم اصبحت

تستخدمه النساء، وفي البداية كان حكرا على الطبقات العليا ثم أصبح أكثر استخداما وشيوعا بين الخاصة والعامة.

- هنري بيرس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ترجمة الدكتور / الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، الطبعة الأولى، ذو القعدة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص٢٨٥.

[١١] السراويل Zaraguelles هي من الملابس المشتركة بين الرجال والنساء وتلبس تحت الجباب الفضفاضة وكلمة سروال محرفة عن الأصل الفارسي شلوار وقد انتقلت إلى العربية ومنها إلى الإسبانية ثم البرتغالية للمزيد راجع:-

R.Dozy: Dictionnaire Détaillé des noms des vetements Chez Les Arabes, Amsterdam, 1845. PP203,204.

سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والعشرون، ١٩٩٥م، ص١٧٤.

[١٢] الثوب القبطي: أو القباطي نوع من النسيج جيد الصنعة امتاز به أقباط مصر وأجادوا صنعته وكان يصدرونه، وكان العرب في شبه الجزيرة العربية أحد مستوردي هذا النوع من النسيج. ٣٠

القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص٢٧٩.

[١٣] ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٥٦.

البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٣٧.

وتذكر د. سيدة الكاشف أن الجزية التي فرضت على الذميين كانت تتناسب مع ثرواتهم الشخصية التي حققوها في ظل الاستقرار والإصلاحات التي أجراها الفاتحون المسلمون مما تحسنت معه أحوالهم وزادت ثرواتهم.

سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٤٧م، ص٥٦،٥٧.

ويضيف د. محمد جمال الدين سرور بأن عهد الخلفاء الراشدين بصفة عامة كان عهد عدل وتسامح، فلم يشتط ولاة مصر في جمع الخراج وبخاصة في الفترة التي أعقبت الفتح مباشرة.

محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص٤١.

[٤٣] أحمد مختار العبادي: في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٩، ص١٨٧.

[٤٤] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، جـ١، ص١٩٢.

[٤٥] مدينة الفرما: هي مدينة قديمة العهد ذات حصون قوية وكنائس وأديار، وكان لها ميناء على البحر، ويصل إليها جدول ماء من النيل وكانت بمثابة مفتاح مصر في ذلك العهد عند الفتح الإسلامي. للمزيد راجع:-

ياقوت: (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي) ٦٢٦هـ – ١٢٢٩م معجم البلدان، القاهرة، ١٣٢٣هـ ١٩٠٦م، جـ٦، ص ٣٦٧ – ٣٦٨.

المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٢١٢،٢١١.

حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، جـ١، ص١٩٢.

[٤٦] محمد أمين صالح: دراسات إقتصادية في تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة ، ١٩٧٥م، ١٣٩٥ هـ، ص٨

[٤٧] السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص٣٦.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، جـ١، ص١٩٧.

[٤٨] المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٧٩.

ويذكر الكندي حول هذا الشأن ويقول: لم يرض عمر بن الخطاب عن الخراج الذي جباه عمرو بن العاص لظن فيه الظنون، وأرسل ابن مسلمة ليقاسمه ماله، ثم عزله سنة ٢٣هـ، أي قبل وفاته بقليل عن ولاية الصعيد، وقلدها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما ولي عثمان الخلافة عزل عمرا بعد أن وليها أربع سنين وأشهرا.

الكندي: كتاب الولاة، ص١٠

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، جـ١، ص٢١٢.

[٤٩] المقريزي: نفس المصدر، جـ١، ص٢٠٨.

حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع، جـ١، ص١٩٧.

[٥٠] حسن إبراهيم: نفس المرجع، جـ١، ص١٩٣. حول قصة أرسنوسة ابنة المقوقس والأراء التي أثيرت حول أسر العرب لها، وإكرامها من قبل عمرو وإعادتها إلى أبيها راجع:- بتلر: فتح العرب لمصر، ص١٩١، هامش (٣).

[٥١] الأرثوذكسية: معناها العقيدة الصحيحة وهي عقيدة معظم أقباط مصر وهي تنادي بالطبيعة الواحدة للمسيح Phusis ، وهي تخالف ما ينادي به معظم المسيحيين في هذا الوقت بأن

للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية حيث ينكر د. عبد المنعم ماجد أنهم خلطوا العقيدة المسيحية بالفلسفة اليونانية.

عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص٤٢.

حيث كان ينادى أصحاب الطبيعتين بأن الله اختلط ببدن عيسى لاختلاط الماء باللبن.

عبد المنعم ماجد: نفس المرجع والصفحة، هامش(٢).

** المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١١٤.

** عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص٤٨،٤٧.

ويضيف د. عبد العزيز سالم حول هذا الموضوع أن العرب تركوا القبط أحرارا فى دينهم وفى ثقافتهم وجعلوا لهم نصيبا وافرا فى إدارة بلادهم، ومن مظاهر ذلك أنه كان فى الحكومة المركزية فى الفسطاط كاتبان قبطيان لإدارة مصر العليا والسفلى وهما اثناسيوس واسحاق، بل وكان والى الصعيد قبطيا اسمه بطرس، وكان حاكم مريوط قبطيا اسمه تاوفانوس

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية ، ص٥٨. = ويضيف د. عبد العزيز سالم أن هذه المعاملة الحسنة استمرت إلى عهود لاحقة فقد بنيت عدة كنائس وبخاصة فى عهد الأمويين مثل كنيسة أبى مقار، وكذلك بنيت كنيسة القديس مرقص بالإسكندرية، وبنيت كذلك أول كنيسة فى الفسطاط فى ولاية مسلمة بن مخلد* وبنيت كنيسة مارى جرجس، وكنيسة أبى قير داخل قصر الشمع. ٣٢

للمزيد راجع:- عبد العزيز سالم: نفس المرجع والصفحة.

* مسلمة بن مخلد من أشهر ولاة مصر (٤٧ – ٦٢هـ) فى عهد الدولة الأموية، وكان من أهم الولاة الذين طبقوا فى حكمهم سياسة تقوم على التسامح الدينى ببناء كنيسة الفسطاط، وهى أول كنيسة بنيت بمدينة الفسطاط فى العصر الإسلامى، أو فى مصر الإسلامية وقد أنكر عليه بعض الجند هذا العمل، فأجمع بهم مسلمة وقال لهم "إنها ليست فى قيروانكم وإنما هى خارجة فى أرضهم" فسكتوا عن ذلك. عبد العزيز سالم: مصر الإسلامية، ص٥٣

** عبد العزيز سالم: نفس المرجع، ص٥٩.

** حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى، جـ١، ص١٩٧.

** ابن دقماق: (إبراهيم بن محمد المصرى) ٨٠٩ هـ (١٤٠٦- ١٤٠٧م) كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق ١٣٠٩هـ – ١٨٩١م، نشر فولرز، الجزء الرابع، ص١٦

** ابن دقماق: نفس المصدر والجزء، ص٢٦.

[٨] للمزيد من التفاصيل حول مدينة الإسكندرية عند الفتح الإسلامي راجع:-
ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص٦١. المقريزي: الخطط المقريزية، جـ١، ص١٤٤ وما يليها.
السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ص٣ وما يليها.

[٩] وصلت الفتوحات الإسلامية إلى أقصى الجنوب من أرض مصر أيضا حيث مملكة النوبة المسيحية، وكانت هذه المملكة قد وقفت في طريق العرب الفاتحين أو المهاجرين منهم، وتمكن المسلمون من إخضاع مسيحي النوبة، بل وعقدوا معهم صلحا.
وقد تضمن هذا الصلح معاهدة إقتصادية بين الطرفين تنص على تبادل اقتصادي وتجاري كبير بين الطرفين. = وكان هذا في أثناء ولاية عمرو بن العاص لمصر.
للمزيد حول هذه المعاهدة وشروطها راجع:-
البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٦٠.
الكندي: كتاب الولاة والقضاة، ص١٣،١٢.
حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، جـ٢، ص١٦٥.

٢٢ Stanley Lane Poole: History of Egypt in the Middle Ages, London 1892, PP20 – 21.

[١٠] البلاذوري: فتوح البلدان، ص٢٤٤.
[١١] ابن عبد الحكم: فتوح مصر، القاهرة ١٩٦١م، ص١٠٧.
المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٦٤.
عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص١٦.
حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ١، ص١٩٤.
[١٢] عبد العزيز سالم: نفس المرجع، ص٢١.
[١٣] البلاذوري: فتوح البلدان، ص٢٤٥،٢٤٤.
[١٤] البلاذوري: المصدر السابق، ص٢٤٥.
[١٥] حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، جـ١، ص٢١٢.
[١٦] ابن عبد الحكم: فتوح مصر، القاهرة ١٩١٤م، ص٧٤،٧٢.
البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٤، ٢٤٥.
الكندي: الولاة والقضاة، ص٩ ومايليها.
بتلر: فتح العرب لمصر، ص٢٧٧، ٢٧٨.

حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي، م١ ، ص١٩٦،١٩٥.

Lane – poole: Ahistory of Egypt in the middle Ages, london 1936 p11.

[١٧] عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية ص٢٠،١٩.

[١٨] القلقشندي : صبح الأعشى،ج٩، ص٣١٤.

بتلر: فتح العرب لمصر، ص٣٨٣.

[١٩] ابن عبد الحكيم : فتوح مصر ، القاهرة، ١٩١٤م، ص٨٧.

جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية ، دار المعارف، بدون تاريخ، جـ١، ص٥٩

بتلر: فتح العرب لمصر، ص٣٨٢.= ويذكر بتلر أن عهد الأمان جاء فيه أن البطريق آمنا على نفسه وعلى القبط الذين بأرض مصر والذين في سواها لا يناله أذى ولا تحقر لهم ذمة.

بتلر: نفس المرجع، ص٣٨٢، هامش (٣).

[٢٠] البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٣٥.

حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي جـ١، ص١٩٦. ٣٤

[٢١] بتلر: المرجع السابق، ص٣٨٧.

[٢٢] جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، جـ١، ص٦٥.

[٢٣] سير توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، الطبعة الثانية، القاهرة،١٩٥٧م، ص٩٤،٩٣.

الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ص٦٥.

[٢٤] أحمد أمين: فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م،ص٣٠٠.

[٢٥] المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٨٢.

يذكر د. الشيال أن القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) هو قرن الامتزاج ما بين العرب والمصريين ففي هذا القرن انتشر العرب في القرى المصرية واشتغلوا بالزراعة، وتزوجوا من المصريات ولذلك حدث امتزاج حقيقي ما بين الشعبين.

الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، جـ١، ص٦٣.

[٢٦] يذكر د. عبد العزيز سالم أن الفتح العربي عمل على إحياء اللغة القبطية على حساب اللغة اليونانية، بما يعني أن أقباط مصر لم يجبروا على التحول إلى اللغة العربية على حساب لغتهم القبطية.

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص٥٨.

[٣٧] جمال الدين الشيال: نفس المرجع ، جـ١، ص٦٢.

بتلر: المرجع السابق، ص٤٢٤.

[٣٨] الكندى: الولاة والقضاة، ص٣٤٩.

الشيال: نفس المرجع ، جـ١، ص٦٢.

[٣٩] الكندى: الولاة والقضاة، ص٧٣،٧٤.

المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٧٩.

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص٥٥.

جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، جـ١، ص٥٩.

[٤٠] للمزيد حول ثورات القبط وأسبابها وتصرف الولاة حيالها راجع:-

المقريزى: نفس المصدر، جـ١، ص٧٩.

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص٤٤ وما يليها.

[٤١] حسن أحمد محمود: تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ص١٠٠.

٣٥

أولاً : قائمة المصادر والمراجع :-

(١) البلاذرى: (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادى)ت ٢٧٩هـ – ٨٩٢م
فتوح البلدان، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، عمرو أحمد عطوة، الإسكندرية، دار بن خلدون، بدون تاريخ.

(٢) ابن دقماق: (إبراهيم بن محمد المصرى) ٨٠٩هـ – (١٤٠٦ – ١٤٠٧م).
كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، الجزء الرابع، نشر فولرز، ١٣٠٩هـ ١٨٩٣م.

(٣) الطبرى: (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى).(٢٢٤ – ٣١٠هـ) – (٨٣٨ – ٩٢٢م).
تاريخ "الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبرى، المجلد الثانى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(٤) ابن عبد الحكم: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشى) (١٨٧ – ٢٥٧هـ) – (٨٠٢ – ٨١٧م)
فتوح مصر والمغرب والأندلس، تحقيق الأستاذ/ عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩١٤م. ١٩٦١م.

(٥) القلقشندى: (أبو العباس أحمد) ٨٢١هـ ١٤١٨م.
صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، القاهرة، ١٩١٣ – ١٩١٩م، الجزء الرابع.
(٦) الكندى: (أبو عمر محمد بن يوسف) ٣٥٠هـ – ٩٦١م
كتاب الولاة والقضاة، تحقيق روفن جست، لبنان، بيروت، ١٩٠٨م، ١٣٢٦هـ.
(٧) المقريزى: (تقى الدين أبى العباس أحمد أحمد بن على المقريزى)ت ٨٤٥هـ – ١٤٤١م.
كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر (٥١)، الجزء الأول، رقم الإيداع ٩٩/٧٨٦٩.
(٨) ياقوت: (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى)ت ٦٢٦هـ – ١٢٢٩م.
معجم البلدان، الجزء السادس، القاهرة، ١٣٢٣هـ – ١٩٠٦م.
(٩) أبو يوسف: (يعقوب بن إبراهيم) ١٩٢هـ – (٨٠٧ – ٨٠٨م).
كتاب الخراج، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م.

ثانيا: المراجع الحديثة والمعربة:

٣٦

(١٠) أرنولد: (سير/ توماس أرنولد).
الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د/حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النجراوى، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.
(١١) أمين: (الأستاذ/ أحمد أمين)
فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠.
(١٢) بيرس: (الأستاذ/ هنرى بيرس)
الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية، وقيمته التوثيقية، ترجمة د/الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، الطبعة الأولى، ذو القعدة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
(١٣) بتلر: (الدكتور/ الفريد ج. بتلر)
فتح العرب لمصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة أ/ محمد فريد أبو حديد، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.
(١٤) بل: (الأستاذ/ أبدرس بل)
مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، ترجمة د/ محمد عواد حسين، د. عبد اللطيف أحمد على، القاهرة ١٩٥٤م.

(١٥) حسن: (الدكتور/ حسن إبراهيم حسن)
تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي.
الدولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، (١ – ١٣٢هـ) – (٦٢٢ – ٧٤٩م) الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشر ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(١٦) سالم: (الدكتور/ السيد عبد العزيز سالم)
تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

(١٧) ج: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢م.

(١٨) ج: الإسكندرية، مقال بدائرة معارف الشعب، العدد ٨٥، القاهرة، ١٩٥٩م.

(١٩) سحر: (الدكتورة/ سحر السيد عبد العزيز سالم)
ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والعشرون، ١٩٩٩.

(٢٠) سيدة: (الدكتورة/ سيدة إسماعيل كاشف)
مصر في فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٤٧م.

(٢١) سرور: (الدكتور/ محمد جمال الدين سرور)
تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢٢) الشيال: (الدكتور/ جمال الدين الشيال)
تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، الجزء الأول، دار المعارف، بدون تاريخ.

(٢٣) صالح: (الدكتور/ محمد أمين صالح)
دراسات اقتصادية في تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

(٢٤) العبادي: (الدكتور/ أحمد مختار العبادي)
في تاريخ الحضارة العربية (الإسلامية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

(٢٥) عطية: (الدكتور/ عزيز سوريال عطية)
الإسكندرية المسيحية، مقال بمجلة الغرفة التجارية، الإسكندرية، ١٩٤٩م، ١٣٦٩هـ.

(٢٦) ماجد: (الدكتور/ عبد المنعم ماجد)
ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، التاريخ السياسي في مصر، دار الفكر العربي، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
(٢٧) محمود: (الدكتور/ حسن أحمد محمود)
تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

Third: References in foriegin Languages:

(28) Encyclopédie de L'Eslam, Tomo 2.
(29) De Lacy: (O'leary, de Lacy)
The Coptic Churches and Egyptian Monasticism, Oxford, 1941.
(30) Diehl: (ch. Diehl)
Histoire du moyen Âge, Tomo III, Lemondé Oriental, Paris 1936.
(31) Dozy: (Reinhart Dozy)
Supplément aux Dictionnaires arabes, Leyden 1881, Tomol, 2éd.
(32) <<: Dictionnaire Détaillé des noms des Vetements chez Les Arabes, Amsterdam, 1845.
(33) Ser Jeant: Material for History of Eslamic Textiles, Arts Islamica, VoL IX, 1992.
(34) Milne: (G.Grafton Milne)
Ahistory of Egypt under Roman Rule, London 1913 and 1924.
(35) Poole: (Stanley Lane Poole)
History of Egypt in the Middle Ages, London 1892 and 1936.

٢٨